كمال الفرح والسرور بمولد مظهر النور

للعلامة العارف بالله سيدي الحاج أحمد سكيرج الخزرجي الأنصاري رحمه الله ورضي عنه

تحقيق :

ذ. محمد الراضي كنون

الحسني الإد-ريسي

هذا كمال الفرح والسرور بمولد مظهر النور[1] للفقيه العالم العلامة الأديب سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج أدام ا   النفع به.

بمـ ولد خير الخـ ـلق تم لنا الفرح ... ولم لا وصدر المـ ـومنين به انشرح
فيا حادي العشـ ـاق قَاحْدُ بمدحـ ـه ... فقد فاز من في العالميـ ـن له امتدح
وحدث بما في المولد النبـ ـوي قد ... روتـ ـه أنـ ـاس فيـ ـه عندهم مـ ـرح
فتنتعـ ـش الأرواح عنـ ـد سمـ ـاعه ... ويرقص من فرط السرور به الشبح
أما ومحيا منه قد أشرق الدجـ ـى ... وفضـ ـل له بسـ ـائر الكون قد رجح
لقد سـ ـاد كـ ـل العـ ـالميـ ـن محمد ... وفاقهـ ـم والكـ ـون لـ ـولاه ما انفتـ ـح
به فتـ ـح الالـ ـه الوجـ ـود وجـ ـودُه ... على يده قـ ـد عمـ ـمَ الكل وانفسح
فقم واسق أهـ ـل الحب فيه بخمرة ... بها انكشفت عن قلبهم غمم التـ ـرح
فلا غمة إلا انجـ ـلت عند ذكـ ـره ... ولا منهـ ـج إلا بأنـ ـواره اتضـ ـح
وقـ ـل لكم البشـ ـرى بحب محمد ... فقومـ ـوا بأمـ ـداح بها يكمل الفرح
هنيئا لكم دوموا على الحب واعمروا ... بأمـ ـداحه عمـ ـرًا تعمكـ ـم المنـ ـح
بمولـ ـده تحيـ ـا القلـ ـوب بسـ ـرده ... وكل مـ ـرام بالسـ ـرور بـ ـه نجـ ـح
وأكثـ ـر من الأمـ ـداح فيه فـ ـإنما ... كمـ ـال السـ ـرور للمحب لمن مدح
ومدح رسـ ـول ا   حمـ ـدٌ لربـ ـه ... ولا حمد إلا ما بحب النبي وضـ ـح
عليـ ـه من المـ ـولى كمـ ـال تحية ... بحسـ ـن قبـ ـول منه عرف لها نفح

---

[1] ـ هو من أوائل مؤلفاته، فرغ من كتابته في شهر محرم الحرام سنة 1326 هـ- 1908م، ولم يقدمه للطباعة إلا في خضم عام 1333 هـ - 1915م، وهو من أبرز المواليد التي دأب الناس على العناية بها واستظهارها على ظهر قلب، إلى جانب مولد الفقيه سيدي محمد الحجوجي المسمى : بلوغ القصد والمرام، في قراءة مولد خير الأنام، وهما معا من أكثر المواليد شيوعا بين الناس، سواء من الفقراء التجانيين وغيرهم.

بسم ا الرحمن الرحيم

وصلى ا على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

نحمدك اللهم على ما تفضلت به على الوجود، من وجود ينبوع الفضل والجود. عين الرحمة الربانية، والواسطة في جميع النعم في السر والعلانية، حمد عبد أقر لك بالوحدانية في الذات والصفات والأفعال، وبالرسالة لسيدنا ومولانا محمد خاتم الأنبياء والإرسال، عليه أتم سلام، ما بقي للدوام دوام، وعلى آله الطيبين، وأصحابه أجمعين.

ما أقام الصلاة من عبد ا وقامت بربها الأشياء[1].

وبعد : فإن أفضل الأيام، وأشرف الأعياد عند خاصة الأعلام، يوم ازداد فيه سر الوجود، من بطون السر إلى مظهر الشهود، فكان أشرف مولد، فيه الرسول عليه السلام وجد.

أكـرم بمولـده الكريم فيومـه   عين الزمان وأشرف الأعياد
يوم به الإسلام في فـرح وفي   طرب ودين الكفر في أنكاد
يوم به شمس المعارف أشرقت   للكائنات بمظهر الإرشـاد[2]

يوم شرف ا به الزمان الذي وجد فيه، وحصل له الفخر على غيره من الأزمان بماله من التنويه، عند كل ذي دين يصطفيه، يوم تنورت به العليا فضاءت به الدنيا، وفتحت فيه الجنان، وأغلقت فيه أبواب النيران، وكم بدت فيه من إرهاصات، وآيات باهرات[3]، فكان أعظم عيد. بطالع هذا النجم السعيد. وانسحب فضله على سائر الأيام، في كل عام، خصوصا اليوم الموافق له في الشهر الموافق

---

[1]- **البيت من قصيدة الهمزية في مدح خير البرية للبوصيري وهو آخر أبيات القصيدة المذكورة.**

[2]- **مما هو قريب من هذه الأبيات قول الشاعر السوري أمين بن خالد الجندي في تخميسه لقصيدة الهمزية :**

قل لمن هام فيه قَبْلِي وَبَعْدِي   من أولي الفضل والتقى يا ابن ودِّي
ليلة القدر لا تعادل عندي   ليلـة المـولد الـذي كـــان للـــدِّيـ
ـــنِ سرورٌ بيومه وازدهاء

[3]- **من هذا الصدد قول العلامة الأديب العارف بالله سيدي محمد أكنسوس، حيث قال في بعض قصائده :**

لا يمكن العـد في آيـات مــولـده   من كـــان للـعدِّ بالآيات طمـاحا
إيوان كسرى غدا إذ ذاك منكسـرا   وملك مالكه في الحين قد طاحا
وبحر ســاوة قد غــارت ينـابعه   ونـــارهم كرمـــاد ليس لقَّاحـا
والشهب تنقض والأصنـام ناكسة   والجن تنـفر عند الرجم جمَّاحا
وأنـزل اللــه فـي الإنجيــل حليته   كما قد أنزل فيه التوراة ألواحا
وكـل حبـر وكـهـــان وذي خـبـر   بقرب ميلاد خير الخلق قد باحا

للشهر الذي ازداد فيه، فهو أجل قدرا، وأتم فخرا، وأكمل إجلالا، وأفضل كمالا، ولقد أجاد من قال : عند إقبال هذا الشهر النبوي في المقال :

أهلا بسلطان الشهور فإنه   نور العيون وراحة المحزون
وربيعنا وربيع كل موفق   لـم لا وفيه ولادة المأمـون[1]

شهر تنجلي فيه عن القلوب الأحزان، وتمتلئ بنور الإيمان، شهر تنشط فيه نفس كل سعيد، وتنقبض فيه نفس كل شقي طريد، وتنتعش فيه الأرواح، بما ينشد من الأمداح، في الجناب الأحمدي، عليه من ربه السلام السرمدي.

---

[1]ـ قريب من هذا البيت قول علي ابن الجياب الغرناطي المتوفي سنة 749 هـ :

يا ربيعَ الخيْرِ شهر المولدِ   كَمْ يَدٍ أولـيتَنا وكَمْ يَـدِ

وأيضا قول الشاعر السوداني الفاضل مدثر بن ابراهيم بن الحجاز :

اليمن أقبل نحو أمة سيدي   خير الوجود الهاشمي محمد
والسعد جاء ميمما ومعمما   لجميعها مذ جاء شهر المولد
شهر شريف فائض البركات ميـــــــــمون ومقبول كثير السؤدد

وأيضا قول الشاعر محمد الباجي المسعودي التونسي في مطلع قصيدة له :

عيد المسرة وهو شهر المولد   وافاك فانهض للمكارم واسعدِ
يرجوك ما عودت من تعظيمه   وهو الأمـــان فَحَيَّهَلْ للمـــولدِ

ومنه أيضا قول بعض مادحيه صلى الله عليه وسلم :

يقـــول لنـــا لســـان الحال منه   وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي   ربيـع فـــي ربيع في ربيـع

ومنه أيضا قول العلامة العارف بالله سيدي محمد بن أحمد أكنسوس :

شهر تشرف بالإسلام حق له   بين المـــواسـم تعظيم وتبجيل
شهر تعـــاظم مجدا أن يمـــاثله   عيدُ ولا زمنُ بالفضل مشمـول
شهر غدا غرة في كل مكـرمة   وأين من غرَّةٍ في الفخر تحجيل
فيه تكون كَوْنُ الفضل وانفتحت   أبـوابه وأتـــانا العز والسـول
فيه تفـجر كـــل الخير منبجسا   على الخـلائق طرا فهو مبذول
فيه البشائر قد لاحت أشعتها   فـــيه تعين للخيرات تسهـيل
وزخـرفت لعباد اللـه جنتـه   واستبشر الملأ الأعلى وجبريـل

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما
سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم،
وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

وللتبرك بهذا الموسم المنيف، نتشرف بسرد بعض ما ورد في هذا المولد الشريف، تلذذا بسماع ذكر الحبيب المحبوب، وفرحا بالمولد المبارك على هذا الأسلوب، وقد استحسن الأفاضل من أهل العلم، ذكر ما ورد من الأثر في ذلك تنويها به وتنويرا للفهم، وإن كان لا يخلوا بعض ذلك من ضعف السند، أو وضع في الصناعة الحديثية غير معتمد، فَلْنَأْتِ ببعض ما رويناه في ذلك على هذا النسق، ونمتع به السمع والنطق والحدق، فنقول مستمدا من مدد هذا الرسول صلى ا عليه وسلم، وشرف وكرم ومجد وعظم :

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق
ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم،
وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

اعلموا أيها الإخوان، أمدني ا وإياكم بمدد سيد الأكوان، أن المولى جل علاه، وتعالى عمن سواه، كان كنزا لم يعرف، فأحب أن يعرف، فخلق الخلق ليعرفوه، وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، فقبض قبضة من نوره المصون، الذي قدر ببديع حكمته أن يخترع منه ما كان وما يكون، وفق ما في علمه، فشرف تلك القبضة بخطابه المستطاب، بما يذهل الألباب، فقال : أيها النور كن عبدي محمدا، وبمحبتي مخصصا ممجدا، فلباه بالسمع والطاعة، واشتغل بالعبادة من تلك الساعة، لا يفتر عن التسبيح والتمجيد، والتقديس والتحميد، وذلك قبل خلق الأزمنة والأمكنة، بستمائة ألف سنة وأربع وعشرين ألف سنة، ثم أوجد سبحانه وتعالى اثني عشر حجابا، لبث في كل حجاب منها سنينا وأحقابا، مشتغلا بطاعة مولاه، مستعملا كليته في شكره على ما أولاه، وهي حجاب القدرة، وحجاب العظمة، وحجاب المنة، وحجاب الرحمة، وحجاب السعادة، وحجاب الكرامة، وحجاب المنزلة ، وحجاب الهداية، وحجاب النبوة، وحجاب الرفعة، وحجاب الطاعة، وحجاب الشفاعة.

حجب تكامل قدرها لولا سنى ... من نوره لعرى الورى اضمحلال
فتجمعت في روحه أنـوارها ... وبنوره قد حفـها إجـ ـ ـ ـ ـلال

وكلها منه وإليه، ومدارها في الحقيقة عليه، فكان منفردا قبلها بربه، وزاده بعد إيجادها سرًا مشعرًا بكمال قربه، فهي حجب لغيره، وليست تحجبه عن خيره.

فكان بها في غاية القرب وهي من ... سناه تدلت كي يصان ظهوره

وصيره المولى حجابًا لذاتـ ـ ـه ولولا سناه أحرق الكون نوره

وبعد إبداعه لهذه الحجب الرفيعة المقام، أمره مولاه بالإقامة في حجاب القدرة اثني عشر ألف عام، وكان ذكره في ذلك الحجاب الأغلى، سبحان ربي الأعلى، وفي هذا الحجاب الأول، ألبس من لباس الفضل ما تحقق به أنه لكل مكرمة أهل.

رسول ا عظمه الإله وأوجد منه سائر ما براه[1]

ثم أمره بالإنتقال لحجاب العظمة، فأقام فيه أحد عشر ألف عام، وكان ذكره في هذا الحجاب الخفي، سبحان عالم السر الخفي، وفي هذا المقام انكشفت له الأسرار التي لم يطلع عليها إلا مولاه، ولم يعرفها سواه.

وبالفتح اللدني قد تجلـ ـى له في حضرة فيها اصطفاه

له انكشفت حقيقة كل سر ولم يدرك حقيقته سـ ـواه[2]

ثم أمره الحق بالانتقال إلى حجاب المنة، فمكث فيه عشر آلاف سنة، وكان ذكره فيه للمولى، سبحان الرفيع الأعلى، وفيه امتن الحق عليه بأصناف المنن بما لم تنكشف حقيقة ظاهر النزر منها لأحد إلا له، ثم أمره بالانتقال إلى حجاب الرحمة فأقام فيه تسعة آلاف سنة، وكان فيه ذكره للمولى الكريم، سبحان الرؤوف الرحيم، وفي هذا الحجاب الجليل النعمة، تحقق بأنه صلى ا عليه وسلم هو عين الرحمة.

---

[1]ـ قريب من هذا البيت قول العلامة الأديب سيدي محمد بن عبد الرحمان ابن زكري الفاسي :

أنت أصل الوجود فالكون من فـــــــــــرش إلى العرش منك ما أزكاكا

لولا جاهك لم يكن له كون ولدام انعدامه لولاك

[2]ـ إشارة للحقيقتين الأحمدية والمحمدية، وهما من أشرف الحضرات العلية، وقد تحدث عنهما الشيخ أبو العباس التجاني رضي الله عنه طويلا في كتابه جواهر المعاني فلينظره من أراد التوسع في هذا الصدد.

ورحم الله الشيخ البوصيري إذ يقول في بردته :

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

وفي الموضوع نفسه يقول العلامة الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله :

لا يعلم النـاس في الدنيا حقيقتـه فالعقل عنها بحبل العجز معقول

وفي القيامة تبدو شمس رتبتـه كـــأنها فوق هــام الـخلق إكليــل

يجر في الحشر ذيلا من سيادته بفضـلـه كـل خلـق الله مــشمـول

فأيقن أنه خير البرايا   وأن ا قد أعلا علاه

ثم انتقل محفوفا بالكرامة والسيادة، إلى حجاب السعادة، فأقام فيه ثمانية آلاف سنة، وكان فيه ذكره مدة النزول، سبحان من هو دائم لا يزول، وهناك تحقق بأن السعادة منه وإليه، وأن الخير لا يجري إلا على يديه.

وأيقن أنه للخير باب   وأن الخير ما بذلت يداه

ثم انتقل إلى حجاب الكرامة، فأقام فيه سبعة آلاف سنة، وهو في غاية التعظيم، وذكره فيه سبحان العليم الحليم، وفيه انكشف له على من سيوجد من الخلائق على اختلاف أجناسهم.

فأبصر كل ما سيفيض منه   وكل مكون حقا رآه

ثم انتقل إلى حجاب المنزلة، فأقام فيه ستة آلاف سنة، وكان ذكره في هذا المقام الجسيم، سبحان ذي الملك العظيم، وفي هذا الحجاب تحقق بالخلافة الكبرى عن مولاه، في سائر مملكته التي لم يتصرف فيها سواه.

تحقق بالخلافة في وجود   عن المولى بجود قد حباه

ثم انتقل إلى حجاب الهداية، فأقام فيه خمسة آلاف سنة، وكان ذكره للمولى الكريم سبحان رب العرش العظيم، وفي هذا المقام تحقق بما هو المقصود من إرشاد الخلق للحق، فاستوى على عرش الهداية في حضرة الغيب بلسان الصدق.

تحقق أنه المقصود حقا   وما في الخلق من يرقى علاه

ثم انتقل لحجاب النبوة، فمكث فيه أربعة آلاف سنة، فتحقق في هذا المقام بنبوته قبل نبوة غيره من الأنبياء عليهم السلام، وكان ذكره فيه للمولى العظيم، سبحان ا وبحمده سبحان ا العظيم.

فأضحى رافعا منشور رشد   وكل الخلق قد صاروا وَرَاْهُ

ثم انتقل إلى حجاب الرفعة، فأقام فيه ثلاثة آلاف سنة، وكان ذكره فيه سبحان الملك القدوس، وفي هذا المقام رفع ا ذكره، وعظم قدره.

ويوم ألست سارع قبل كل   لقول بلى ولولاه لتاهوا[1]

---

[1]ـ قريب من قول العلامة سيدي حمدون بن الحاج السلمي :

ويومَ ألستُ كان أوَّلَ قائل   بلى فَهْوَ ذُو التقديم ليس له سِوَى

ومن هذا المقام انتقل لحجاب الطاعة، فمكث فيه ألفي سنة، وذكره في هذا المقام العلي، سبحان القديم الأزلي، وفيه تحقق بسر العبودية، وأفرغ عليه ما لا يكيف من الأسرار الألوهية.

تيقن أنه عبد حقيقي　　　　فوحد ربه جل ثناه

ثم انتقل لحجاب الشفاعة، وأقام فيه ألف عام، وذكره المشروح، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، وفي هذا المقام فتح عليه بما لا يفتح به على غيره، وتحقق بما فاض عليه من مواهب ربه وخيره، ورمز على ذلك، بقوله عليه السلام : لا يعرفني حقيقة غير ربي.

عليه بلا انتها أزكى سلام　　　　من الرحمان يشمل من تلاه

صلى ا　عليه وسلم.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

ولما مرت هذه الأعوام والسنون، في هذه الحجب على هذا النور المصون، ووفى بطاعة مولاه، على وفق ما حكم به قضاه، أمره بالسباحة والغوص في عشرة أبحر، وهي بحر النظرة، وبحر الرحمة، وبحر المحبة، وبحر القدرة، وبحر الكرامة، وبحر السخاء، وبحر الهداية، وبحر الشفاعة، وبحر الحكمة، وبحر المعرفة، فامتثل الأمر، وسبح منها بالتسبيح في كل بحر، وأثنى على ا　بما هو أهله في هذه الأبحر الواسعة، ذات الأنوار الساطعة، ونال في كل بحر منها ما لا تكيفه العقول، وتكل عن النظر فيه أبصار ذوي البصيرة من أهل الوصول.

بحور أسرار ذات لا تكيفها　　　　عبارة وهي من سر الألوهية

لها حقائق لكن ليس يدركها　　　　عقل وفيها كمالات العبودية

ففي بحر النظرة، اختص بنظرة سبق بها الأولين والآخرين، وفي بحر الرحمة صار رحمة للعالمين، وفي بحر المحبة اصطفاه ربه سبحانه بها على الأنبياء والمرسلين، وفي بحر القدرة اقتدر على الفضائل النفسانية على وجه الكمال بقدرة رب العالمين، وفي بحر الكرامة ختص بالكرامات التي لا يعلم حقائقها إلا أحكم الحاكمين، وفي بحر السخاء تجلى بحلية الجود والسخاء فكان من جوده وجود سائر المخلوقين، وفي بحر الهداية صار هاديًا للهادين والمهتدين، وفي بحر الشفاعة أخذ بالحظ الأوفر حتى غرق في بحر شفاعته سائر الموحدين من العصاة والمطيعين، وفي بحر الحكمة نال حكما لم يشم

رائحتها سائر الحُكماء والحاكمين والمحكمين، وفي بحر المعرفة فاض عليه من المعارف والأسرار واللطائف والأنوار ما لا يقدر قدره إلا ا الذي خلقه[1]. فتبارك ا أحسن الخالقين.

حباه ما قد حباه من مواهبه وخصه بكمال في محاسنـه
فلم يطق أحد إيفاء ظاهره بما استحق فكيف مدح باطنه[2]

---

[1]- بدليل قوله تعالى : وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيما. إهـ.. سورة النساء، الآية **113**.

ورحم الله بعض العلماء إذ يقول في مدحه صلى الله عليه وسلم :

فإن تك فاتح الخيرات طرا فإنك قد ختمت المرسلين
علوم الآخرين عليك قصت وقد أوتيت علم الأوليـن

وكذلك قول بعضهم في مدحه :

عرضت عليه كنوز الأرض فلم يرد علما بأن مصيرها لذهاب
وإذا سـألت عـن العلـــوم فإنــــه لمدينة مفتوحة الأبــواب

[2]- **لا يستطيع أحد مهما بلغ من المرتبة أن يفي في مدحه بحق النبي صلى الله عليه وسلم، أو أن يلم بقدره وشمائله وأخلاقه، فذلك من باب المستحيل، إذ ليس في مقدور عقولنا القاصرة أن تلج هذا البحر الخضم المتلاطم الأمواج، ولهذا وقفت الأولياء عند ساحله، وما لا يؤخذ كله لا يترك كله، ويكفيه فخرا ما مدحه الله عز وجل به في أول سورة نون حيث قال : وإنك لعلى خلق عظيم.**

ويرحم الله العلامة ابن الخطيب التلمساني إذ يقول في هذا المعنى :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له الأغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدمـا أثنى على أخلاقك الخـلاق

وروي أنه أَخْبَرَ بعد موته في النوم أنه غفر له بسبب هذين البيتين.

ومن هذا القبيل أيضا قول العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان ابن زكري في آخر همزيته :

قصر القول فالجناب رفيع من يطاوله أعجزته السماء
وارض بالعجز غاية فقديما عجزت عن وصوله الشعراء

قال الزركشي : ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء كأبي تمام والبحتري وابن الرومي لمدحه صلى الله عليه وسلم، وكان مدحه عليهم من أصعب ما يحاولونه، فإن المعاني دون مرتبته، والأوصاف دون وصفه، وكل علو في حقه تقصير، فيضيق على البليغ مجال النظم. إهـ..

ومما هو مناسب لهذا الموضوع أن بعضهم لام الشاعر أبا نواس على عدم مدحه لمعاصره الشريف علي الرضا بن موسى الكاظم حفيد سيدنا الحسين رضي الله عنه، فقال أبو نواس :

قيل لي أنت أحسن الناس طرا في فنون من المقال النزيه
لك من جيـد القريض مديـح يثَّمَ الدُّرَّ فـــي يدي مجتنيـه
فعلى مَ تركت مدح ابن موسى والخصال التي تَجَمَّعْنَ فيه
قلت لا أستـــطيع مـدح إمـام كان جبريل خـــادمًا لأبيــه

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقدراه العظيم،

ولما سبح هذا النور، في هذه البحور، وخرج في كمال البهجة متلألأ، وبالحب الإلاهي ممتلئا، نظر المولى إليه بنظرة الرضى والقبول، فترشح النور عرقا في حضرة الوصول، فقطرت منه مائة ألف وأربع عشرون ألف قطرة، فخلق ا من كل قطرة روح نبي أو رسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء عليهم السلام، فخلق ا من أنفاسهم نور الأولياء و السعداء و المطيعين من المومنين، و من ظلهم وجدت أرواح غيرهم، و بقي الجميع ساجدا لمولاه، والنور المحمدي يمدهم وهم ساجدون كل على قدر ما تحمله آنيته بتوفيق ا .

وكلهم من رسول ا ملتمس	غرفا من البحر أو رشفًا من الديم
وواقفون لديه عند حدهـ ـ م	من نقطة العلم أو من شكلة الحكم[1]

ولم يزل هذا النور المحمدي سابحًا في العوالم بالإذن الإلهي بعد أن أوجدها عنه في حال إقامته في تلك الحجب الربانية، وفي حال سباحته في تلك الأبحر العرفانية، وأبرزته القدرة منه على أبدع تنظيم، وفق ما جرى في العلم القديم، فسار فيها مسير البدر في الشرف، وصار مسبحا للمولى وهو يرى تولدها منه وهي محيطة به كالجوهرة في الصدف، وفي تنقلاته في تلك المراحل، ازدادت ابتهاجا بنوره الكامل، وهو يقول في ذكره، سبحان العالم الذي لا يجهل، سبحان الجواد الذي لا يبخل.

إن نور النبي نور عظيـ ـ م	بجميع الأكوان أضحى منيرًا
فأضاء الوجود منه وأضحى	كل نور من نوره مستعيـ ـرًا[2]

---

[1]- البيتان من قصيدة البردة للإمام البوصيري وهما تحت رقم

[2]- قريب من هذين البيتين قول العارف بالله سيدي عمر ابن الفارض :

روح الوجود حياة من هو واجد	**لولاه ما تم الوجود لمن وجد**
عيسى وآدم والصدور جميعهم	**هم أعين هـو نورها لمـا ورد**
لو أبصر الشيطان طلعة نـوره	**في وجه آدم كان أول من سجد**
أو لو رأى النمرود نور جمالـه	**عبد الجليل مع الخليل وما عند**
لكن جلال الله جلَّ فلا يــرى	**إلا بتخصيص من الله الصمـد**

وكذلك قول العلامة محمد بن عبد الرحمان ابن زكري :

محمد ممد كل العالميـــن	**أهل السماوات وأهل الأرضين**
مدده في العالم العلـــوي	**لـــه سـراية وفــي السفلـــي**

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

ثم أن ا تعالى استخرج من هذا النور جوهرة نيرة، وأشار إليها فانفلقت فلقتين، فنظر لإحدى الفلقتين بنظرة الهيبة، وللأخرى بنظرة الشفقة، أما التي اختصت بنظرة الهيبة فتكون منها المياه الجارية، والبحار والأنهار والسماوات والأراضون والجنة والنار، وأما التي تشرفت بنظرة الشفقة فخلق منها العرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة المكرمين حملة العرش وغيرهم من عالين وكروبين، فاشتغلوا بالتسبيح والتقديس والصلاة والسلام على هذا النور المقدس وهم محيطون به، ومستمدون منه، سائرون حيث سار، وانتشروا في الكون أي انتشار.

وكلهم قد غدا يبدي الثناء علـى   محمد بالذي ما قاله ثـ ـ ـان
وعطر الكون من شكر الإله على   ما خصه منه من سر وإعلان

ثم أمر القلم بالكتابة فانشق من هيبة الأمر وسجد لمولاه، وكتب على لسان الحضرة الإلاهية : بسم ا الرحمن الرحيم إنني أنا ا لا إله إلا أنا محمد رسولي، فلما تشرف القلم بذلك الخطاب، وَرَأى ما ألهم إليه من كتبه ذلك على اللوح المحفوظ الذي هو أم الكتاب، قال سبحانك لا إله إلا أنت يا رب من هذا الذي قرنت إسمه باسمك، فخوطب القلم : أيها القلم بعزتي وجلالي لولا محمد ما خلق أحد[1]، وما خلقت الخلق إلا لأعرفهم كرامة محمد ومنزلته عندي، فدهش القلم من حلاوة الخطاب، وألهمه ا أن يقول: السلام عليك يا محمد، فأجيب القلم من الحضرة: وعليك السلام أيها القلم ورحمتي وبركاتي، ثم ألهم بكتابة ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، حتى آل أمر الكتابة إلى ذكر أحوال الأمم، فكتب في حَقهم أن أتقياءهم ومطيعيهم في الجنان، وأن عصاتهم وبغاتهم في النيران، حتى انتهى إلى أمة

---

[1] **عن هذا الصدد يقول العلامة العارف بالله سيدي محمد أكنسوس :**

محـمد حجة الأكـوان علـة مــا   في الكون من رحمة تبدو وامداد
لا شيء من هذه الدنيا وضرَّتهـا   إلا مــنوطًــا بأحمــد وحمـــــاد
من أجله دارت الأفلاك وابتـهجت   حور الجنان ابتهاجا غيــر معتـاد
لولاه ما بعث الرسل الكــرام ولا   تنزل الوحي تنزيلا لإرشـــــاد
لولاه ما أمسك الله السمـــاء ولا   أرسى بحكمته أرضا بأوتـــــاد
لولاه ما أخرجت أرض زخارفها   وابتـهجت بين أغوار وأنجـــــاد
ولا لساكنـــها أجـرت مذانبهـــا   ولا استقرت بأشباح وأجســـاد
فهو النبيء الذي حـقت نبوئتــه   وآدم بَعْدُ في طين وآتــــــــاد

سيدنا محمد عليه السلام، فأراد أن يكتب على ذلك النسق، فخوطب من الجناب الأكرم : تأدب يا قلم، يا قلم أكتب في حق أمة حبيبي محمد : أمة مذنبة ورب غفور.

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا   من العناية ركنا غير منهـدم
لما دعا ا داعينا لطاعتــــه   بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم[1]

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

ولما أراد المولى أن يجعل في الأرض الخليفة، وأن يظهر للوجود هذه الخليقة، ليشرف الكون بمولد الذات المحمدية الشريفة، أمر عزرائيل أحد الملائكة الكرام، عليهم السلام، بأن يقبض من جميع أمكنة الأرض ما يتشرف بالقبض، فامتثل الأمر، ونزل إلى الأرض، وأخذ من جميع نواحيها من الطول للعرض، قبضة من تراب الزوايا الأرضية، لتكون منه الذات الآدمية.

فأضحى للتراب رفيع قدر   لسر تواضع في طبع ذاته
فشرفه الإله فكان منــه   وجود الآدمي في كائناتـه

ثم أمر المولى الملك جبريل عليه السلام أن ينزل إلى الأرض بجماعة من سادات الملائكة المتصفين بكمال الأدب، وأن يأخذ من أشرف مكان في الأرض قبضة تراب، فنزل بالملائكة المأمورين إلى البقعة المقدسة، التي هي قبر سيد المرسلين، فأخذ ما أمر بأخذه من تلك القبضة، التي هي أبيض من الفضة، وصعد بها إلى عين التسنيم، في جنة النعيم، فعجنت بمائها، وغسلوها في جميع أنهار الجنان، حتى صارت كالكوكب الدري في البريق واللمعان، وسار بها جبريل مع طائفة من الملائكة الأبرار، في السموات والأراضين والبحار وسائر الأقطار، ليعلم سائر الأنام، بشرف هذه الطينة المحمدية عليها السلام، فاعترف بفضله في عالم الغيب سائر الأرواح، وأخذ على ساداتها الميثاق بمتابعته قبل حُلولها في الأشباح، ثم ضمت هذه الدرة المكنونة، إلى الطينة الآدمية المصونة، وصور الجسد الآدمي بيد القدرة، ووضع النور المحمدي الذي هو أصل الأنوار في صلب هذا الجسد الكريم، والذي خلق في أحسن تقويم، وأمر الملائكة له بالسجود، تشريفا لسيد الوجود، فسجدوا طبق ما أمروا به، وبالسجود له ظفر كل واحد منهم بكمال مرغوبه.

شرف ا بالسجود إلى آدم   أهل الكمال من أملاكـه
وحباهم بالامتثال رضـاه   فعلا قدرهم على أفلاكه

---

[1]- **البيتان من قصيدة البردة للشيخ محمد بن سعيد البوصري، رقم 114 و115.**

ثم صارت الملائكة الكرام، تصطف وراء ظهر آدم عليه السلام، للتمتع بالنظر للنور المحمدي المستودع في صلبه، فسأل آدم مولاه حين علم باصطفائه، أن يكشف له عن موجب اصطفاف الملائكة من ورائه، فأجيب من الحضرة بأن ملائكتي ينظرون إلى نور حبيبي محمد، الذي أودعته في صلبك، وسوف يخرج من صلب إلى صلب متقلبًا في الساجدين، وهو خاتم النبيئين والمرسلين، فسأل آدم ربه أن يجعل هذا النور في جبهته، لتواجهه الملائكة ، فنقل النور المكنون لجبهته، وتشرفت بذلك لكونها محل السجود، للمولى المعبود، فأشرق في جبهته مثل الشمس المنيرة، ثم سأل من ربه الأعلى أن ينقل ذلك النور الأبهى إلى عضو من أعضائه يمكن النظر إليه، ليتنعم برؤيته، فنقل إلى أصبعه المسبحة، وتشرفت بذلك لتحركها في التشهد بالإشارة للتوحيد، ثم زينت ببقية النور أصابعه الباقية، فوضع نور أبي بكر في الوسطى، ونور عمر الفاروق في البنصر، ونور عثمان في الخنصر، ونور علي في الإبهام، وذلك من سر خلافتهم عن النبي صلى ا عليه وسلم.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم
لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم،
وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

ولما تم خلق سيدنا آدم عليه السلام، ووضع فيه النور المحمدي في أحسن انتظام، طافت به الملائكة الكرام، في بقاع الأرض والسموات كلها مقدار مائة عام، حتى وقفوا به على كل شيء من عجائب ما خلق من أصل الأنوار، وعلمه ا من الأسماء والمسميات ما لم يعلمه غيره من الملائكة الأبرار، ولما وصلوا به لباب الجنة، ألقى ا عليه النعاس، فأخذت عينه سنة، فخلق منه حواء عليها السلام من ضلعه اليسرى، فلما هب من نومه رآها عند رأسه كأحسن ما خلق ا ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا زوجتك، خلقني ا لك تسكن إلي وأسكن إليك، فقالت الملائكة عند ذلك : يا آدم ما هذه ؟ قال: امرأة. قالوا : لما سميت بذلك ؟ قال : لأنها خلقت من المرء، قالوا : وما إسمها ؟ قال : حواء، لأنها خلقت من حي، قالوا : أتحبها ؟ قال : نعم.

فكان لها نعم المحب لأنهـ ـ ـا	ستحمل ذاك النور منه وتحفظـ ـه
فأكرم بها من زوجة شرفت به	وأكرم به زوجا بها الأنس يلحظه

ولما رام القرب منها طلبت منه المهر. فقال : يا رب ماذا أعطيتها . قال : يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد ا عشرين مرة. فعند ذلك زوجها ا إياه.

أعظم به من صداق قد غلا ثمنا	ولا صداق له بال يعادله
فكان مهرًا مبـ ـاركًا لهـ ـا وبه	لآدم تم ما غـ ـدا يحاوله

ثم خطب الحق خطبة الرضى. وفق ما جرى به القضا. فقال : الحمد ثنائي. والعظمة إزاري.والكبرياء ردائي. والخلق كلهم عبيدي وإمائي. اشهدوا يا ملائكتي وحملة عرشي وسكان سماواتي. أني زوجت حواء أمتي عبدي آدم. بديع فطرتي. وصنع يدي. على صداق تقديسي وتسبيحي وتهليلي. يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة. ولا زال آدم معها في خير ونعمة. حتى دلاهما اللعين بغرور. حسدًا لهما فيما رآهما فيه من النعمة والسرور. بعدما طرد من الرحمة لأجل آدم عليه السلام.لامتناعه من السجود الذي تشرفت به الملائكة الكرام. فكان من فرح إبليس المطرود من رحمة ا مخالفتهما في الظاهر بما نَهَاهُمَا عنه ا . ولم يعلم ما في تلك المخالفة النفسانية. من ثبوت سر الخلافة الربانية. ليقضي ا أمره. ويظهر للوجود سره. على وفق ما قضاه في سابق العلم من إيجاد النسل الآدمي للعيان. وتشريفه بوجود سيد ولد عدنان. صلى ا عليه وسلم.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق. والخاتم لما سبق.
ناصر الحق بالحق. والهادي إلى صراطك المستقيم.
وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

ثم إن ا تعالى بعدما رد نور الحبيب إلى صلب آدم عليه السلام. قال له : تطهر يا آدم وسبح وقدس. واغش زوجتك على طهارة منك ومنها : فإني مخرج منك ذلك النور المحمود. ليتشرف به الوجود. ففعل آدم ما أمره به ربه. فنقل ا نور حبيبه محمد صلى ا عليه وسلم من صلبه الطاهر إلى رحم حواء الطاهرة. فكان في حضرة الأنس يرى في وجه حواء دارة كدارة الشمس. فلما وضعت سيدنا شيت عليه السلام انتقل النور إلى جبينه[1]. فلما كبر وأخذ حد الرجال. أخذ عليه آدم العهد والميثاق. أن لا يضع هذا السر إلا في المطهرات من النساء. ليصل إلى المطهرين من الرجال. فما زالت تلك الأمانة تنتقل من أصلاب الرجال الأخيار. إلى المحصنات من النساء الأطهار. إلى أن وصل ذلك السر الباهر. الذي وصل من طاهر لطاهر. إلى سيدنا عبد ا بن عبد المطلب. والد سيد الأنام

---

[1]ـ مما قيل في هذا الصدد قول الشيخ يحي الصرصري رحمه الله ورضي عنه :

لذاك آدم لما قام معتذرا — إذ غره من عدو الله تسويل
دعا به فأجاب الله دعوته — وكان منه له قرب وتبجيل
وزانه نوره أيام مَهْبِطِه — كأنَّما هو فوق الوجه قنديل
وأُودِعَتْ نوره حواءُ فابتهَجت — وكان منه لها تاج وإكليل
وبالأبوة شيث نال منفردا — شأوًا من الفضل لم يدركه هابيلُ
وحلَّ في صُلب نوح في السفين وفي — صُلْبِ الخليلِ وللنيران تشعيلُ
والمدية انقلبت عند الذبيح لِمَا — مِنْ نوره فيه مكنون ومجبول
ولم يزل بصحيح العقد يودعه الـ — ـزهر الطواهر آباء بَهاليل
حتى استقرت له في هاشم قدم — لها من المجد تفريع وتأصيل
وأحرز النور عبد الله فهو به — ناج من الذبح تفديه الشماليل
ثم استقلت به الزهراء آمنة الـ — ـحصان لم يلقها في الحمل تثقيل

عليه السلام.[1] حتى انتقل إلى رحم مولاتنا آمنة ابنت وهب. والتي وهب ا لها هذا النبي الكريم ولدا. وأكرم به من مولود عم الكون مددًا.

تنقل من صلب طهور لطـاهر	لطاهـ ـرة ميمـ ـونة الفرع والأصل
وما مس هذا النور عند انتقاله	مع الطول نقص في اتصال وفي فصل
إلى أن تناهى عند آمنة عـلى	أمـانة عبد ا حـ ـامل ذا الفضـ ـل

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق. والخاتم لما سبق.
ناصر الحق بالحق. والهادي إلى صـراطك المستقيم.
وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

وقد ورد أن ا عز وجل أمر جبريل عليه السلام في ليلة زفاف سيدتنا آمنة إلى سيدنا عبد ا . أن ينادي في الأكوان بالتبشير. بقدوم هذا الحبيب البشير النذير.فنادى بأعلا صوته : يا حملة العرش. و يا أهل السدرة، و يا أهل الجنة. ويا أهل السماوات. ويا أهل الأراضين. إن كلمة ا قد تمت. وحكمته نفذت. ورحمته قد عمت. وإنه سبحانه أنجز وعده بإيجاد النبي الأمين. سيد الخلق أجمعين. خاتم النبيئين وإمام المرسلين.المبعوث رحمة للعالمين. المسمى بمُحمد وأحمد وطه وياسين. الناسخ بدينه كل دين.وهاهو الآن بإذن الحكيم الخبير. المعطي لكل شيء خلقه بحسن التدبير. قد قدم من عالم الأرواح. إلى فضاء الأشباح. و أودع نور دره المصون. بحفظ الرب في رحم آمنة ابنت وهب. وقد حق الهناء بهذا الطالع الميمون. فلما سمعت الملائكة هذه البشارة ضجوا بالتقديس والتسبيح والتمجيد والتهليل. وأثنوا على ا بما هو أهله. وهنت الملائكة بعضهم بعضا. وأظهروا البهجة والسرور. وكمال المبرة والحبور. فرفع الحق عنهم حجب الأنوار. وتجلى لهم برضاه عنهم كرامة لقدوم حبيبه النبي المختار. ثم نزلت الملائكة المكرمين بالإذن الإلاهي. وتفرقوا في أقطار الأرض. من الطول للعرض. وانتشروا في الكون أي انتشار. مبشرين بقدوم هذا المصطفى المختار. فابتهج الكل بهذه البشارة. وسقطت أصنام الأرض على الوجوه.وصاح إبليس صيحة هائلة[2]. ودعا على نفسه بالويل والوبال. وعلى أعوانه وجُنوده بالخسار و النكال. فدهمته الشهب المحرقة. وأزعجته عن الخروج عن

---

[1]- إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم : أهبطني الله في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذف بي في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب والأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوايا، لم يلتقيا على سفاح قط. إهـ. أنظر الشفا في التعريف بحقوق المصطفى، للقاضي أبي الفضل عياض 2 :33. جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الكاف) 5 :464 رقم 16002.

[2]- قال بعض الأدباء في هذا الصدد :

لمولده قد رن إبليس رنة	**فسحقًا له ماذا يفيد رنينه**

كل منطقة. وتشتت شمل أعوانه وجنوده. ومزقت جميع أعلامه وبنوده[1]. إجلالا لقدوم هذا الطالع الميمون. والنور المصون. صلى ا عليه وسلم.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق. والخاتم لما سبق.
ناصر الحق بالحق. والهادي إلى صـراطك المستقيم.
وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

قالت مولاتنا آمنة: حملت بحبيبي محمد صلى ا عليه وسلم في رجب. وكنت ليلة من الليالي في خلال ذاك الشهر في لذيذ المنام. إذ دخل حجرتي رجل له جمال ورائحة طيبة وأنوار. وقال : مرحبا بك يا محمد. فقلت من أنت يا صاحب الأنوار؟ قال : أنا أبو البشر آدم. فقلت : أي شيء جاء بك. فقال : يا آمنة لك البشرى. فإنك حملت بسيد البشر.

لك البشارة يا شبيهة القمر   فقد حملت بخير الخلق والبشر

قالت : وفي الشهر الثاني دخل حجرتي رجل مبارك. وقال : السلام عليك يا رسول ا . فقلت : من أنت؟ فقال : أنا شيث. فقلت : ما جاء بك؟ فقال : لك البشارة يا آمنة فقد حملت بصاحب التأويل والحديث.

لك البشارة بالنبي الذي سطعت   أنـوارہ وأتى بمحكـم السور

وفي هذا الشهر سافر سيدنا عبد ا والد النبي صلى ا عليه وسلم إلى يثرب بإذن والده عبد المطلب، بقصد تحصيل الأمنية، فأصابته في طريقه المنية.

ومن كانت منيته بأرض   فليس يموت في أرض سواها

وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة، فبلغ الخبر إلى مولاتنا آمنة فقالت فيه :

عفا جانب البطحاء من آل هاشم   وجاوز لحدًا خارجًا في الغماغـم
دعته المنايا دعوة فأجابهـــا   وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية زادوا يحملون سريـره   تعاوده أصحابه في التزَاحـــم
فإن يك غالته المنايا وريبهـا   فقد كان معطاءً كثيرَ التراحـــم

[1] ـ قال في السيرة الحلبية : روي أن الشياطين كانت تصعد إلى السماء، ثم تجاوز سماء الدنيا إلى غيرها، فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من مجاوزة سماء الدنيا، وصاروا يسترقون السمع في سماء الدنيا، حتى ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فمنعوا من التردد إلى السماء إلا قليلا، أي فصاروا يسترقون السمع في سماء الدنيا في بعض الأحايين، وفي أكثر الأحايين يسترقون دونها، حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فمنعوا أصلا، فصاروا لا يسترقون السمع إلا دون سماء الدنيا. إهـ.أنظر السيرة الحلبية، باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم 1 : 109.

وقد ورد أنه لما توفي سيدنا عبد ا [1]، قالت الملائكة : إلاهنا وسيدنا صار نبيك بلا أب، فبقي من غير حافظ ومرب، فقال ا تعالى : أنا وليه وحافظه وحاميه ومربيه، وعونه ومراقبه وكافيه، قالت مولاتنا آمنة : ثم إنه في الشهر الثالث من حملي دخل حجرتي شخص رئيس، وقال : السلام عليك يا نبي ا ؟ فقلت من أنت ؟ قال : إدريس، ولك البشارة يا آمنة فقد حملت بالدر النفيس.

لك البشارة يا أم النبي فقد ... حملت بالمصطفى المختار من مضر

---

[1]- جاء في الحديث : أحيا الله أبوي النبي صلى الله عليه وسلم حتى آمن به. أنظر كشف الخفاء ومزيل الألباس، للعجلوني (حرف الهمزة مع الحاء المهملة) رقم 150، وقد ألف الحافظ السيوطي في هذا الصدد تأليفا سماه : مسالك الحنفا في إسلام والدي المصطفى.
وللإمام السيوطي أبيات في هذا الموضوع قال فيها :

إن الذي بعث النبي محمدا ... نجى به الثقلين مما يجحف
ولأمه وأبيه حكم شائع ... أبداه أهل العلم فيما صنفوا
فجماعة أجروهما مجرى الذي ... لم يأته خبر الدعاة المسعف
والحكم فيمن لم تجئه دعوة ... أن لا عذاب عليه حكم يؤلف
فبذاك قال الشافعية كلهم ... والأشعرية ما بهم متوقف
وبسورة الإسراء فيها حجة ... وبنحو ذا في الذكر آي تعرف
ولبعض أهل الفقه في تعليله ... معنى أرق من النسيم وألطف
إذ هم على الفطر الذي ولدوا ولم ... يظهر عناد منهم وتخلف
ونحى الإمام الفخر رازي الورى ... معنى به للسامعين تشنف
قال الأولى ولدوا النبي المصطفى ... كل على التوحيد إذ يتحفف
من آدم لأبيه عبد الله ما ... فيهم أخو شرك ولا مستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة ... نجس وكلهم بطهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلب ... في الساجدين فكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين في ... أسراره هطلت عليه الذرف
فجزاه رب العرش خير جزائه ... وحباه جنات النعيم تزخرف
فلقد تدين في زمان الجاهلية فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا الصديق ما شرك عليه يعنف
قد قرر السبكي بذاك مقالة ... للأشعري وما سواه مزيف
إذ لم تزل عين الرضا منه على الصديق وهو بطول عمر أحنف
عادت عليه صحبة الهادي فما ... في الجاهلية للضلالة يعرف
فلأمه وأبوه أحرى سيما ... وارت من الآيات ما لا يوصف
وجماعة ذهبوا إلى إحياءه ... أبويه حتى آمنا به واحتفوا
وروى ابن شاهين حديثا مسندا ... في ذاك لكن الحديث مضعف
هذي مسالك لو تفرد بعضها ... لكفى فكيف بها إذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته ... أدبا ولكن أين من هو منصف
صلى الإله على النبي محمد ... ما جدد الدين الحنيف محنف

قالت : وفي الشهر الرابع ظهر في حجرتي رجل له نور يلوح، وقال : السلام عليك يا حبيب ا ، فقلت : من أنت ؟ فقال: أنا نوح، ولك البشارة يا آمنة لأنك حملت بصاحب النصر والفتوح.

لك البشارة بالحبيب سيدنا   محمد خير أهل البدو والحضر

قالت : وفي الشهر الخامس دخل حجرتي شخص ذو فضل مشهود، وقال : السلام عليك يا صفوة ا ، فقلت : من أنت ؟ فقال أنا هود، ولك البشارة يا آمنة لأنك حملت بأفضل مولود.

لك البشارة بالبشير سيدنا   محمد منقذ الأحباب من سقر

قالت : وفي الشهر السادس ظهر في حجرتي رجل فضله جليل، وقال : السلام عليك يا رحمة ا ، فقلت : من أنت ؟ فقال : إبراهيم الخليل، قلت جئت لتشرفنا بقدومك المبارك، فقال : لك البشرى يا آمنة فقد حملت بالنبي الجليل.

حملت يا ابنة وهب بالنبي وقد   وافت لحضرتك البشرى مع الظفر

قالت : وفي الشهر السابع دخل حجرتي رجل ذو وجه مليح، وقال : السلام عليك يا من اختاره ا ، فقلت : من أنت ؟ فقال: أنا إسماعيل الذبيح، ولك البشارة يا آمنة فقد حملت بصاحب الفضل الصحيح.

حملت بالمجتبى خير الوجود ومن   تمت محاسنه بالحسن والخفر

قالت : وفي الشهر الثامن دخل حجرتي رجل كريم، وقال : السلام عليك يا خيرة ا ، فقلت : من أنت ؟ قال : أنا موسى الكليم، ولك البشارة يا آمنة فقد حملت بمن نزل عليه القرآن العظيم.

لك البشارة يا ذات الجمال فقد   ظفرت بين النسا بخير مدخر

قالت : ولما دخل الشهر التاسع بالسعادة والإقبال، دخل علي رجل ذو جمال، وهو يبتسم، وقال : السلام عليك يا رسول ا ، قد قرب قدومك، فقلت : من أنت ؟ قال : أنا عيسى ابن مريم، ولك البشارة يا آمنة فإنه النبي المكرم، والرسول المعظم.

لك البشارة بالذي أتى بهدى   للعالمين وفيه منتهى الوطر

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق. والخاتم لما سبق.
ناصر الحق بالحق. والهادي إلى صراطك المستقيم.
وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

قالت مولاتنا آمنة في الليلة الأولى من ربيع الأول حصل لي كمال السرور والهنا، والتبشير ببلوغ المنى، وفي الليلة الثانية انشرح صدري، وارتفع على كل النساء قدري، وفي الليلة الثالثة سمعت قائلا يقول : إن الذي يقول بحمد ا وشكره قد قرب قدومه إلى عالم الظهور، بالنور والحبور، وفي الليلة الرابعة سمعت تسبيح الملائكة وتقديسهم للرب بمسرة ورود الحبيب، وفي الليلة الخامسة رأيت في المنام إبراهيم خليل الرب وهو يقول : يا آمنة لك الهناء والبشارة التامة، فقد تشرفت بالنبي الرسول، صاحب الثناء المتوج بتاج القبول، وفي الليلة السادسة ملئت الأقطار بالأنوار، وفي الليلة السابعة سمعت ضجيج الملائكة بالتقديس، وفي الليلة الثامنة سمعت لسان الفرح والسرور ينادي ويقول : يا آمنة قرب ولادة نور النور، وبدر البدور، وفي الليلة التاسعة سمعت من ساحة اللطف، قد قرب إبان الوضع، فابشري بالسعد الدائم، وفي الليلة العاشرة اطمأنت نفسي، وكدت من شدة فرحي أن أغيب عن حسي.

وفي الليلة الحادية عشر وكانت قمراء، ولم يكن فيها شيء من الظلماء، وكان عبد المطلب قد ذهب مع جميع أهله وأولاده إلى تعمير الكعبة الغراء، وما عندي أحَد، فحصلت لي وحشة من الوحدة، وتحرك حملي برفق ولطف، فقلت في نفسي ما هذه الوحدة والوحشة، في هذه الحالة المدهشة، وليست معي امرأة تعينني في شدائد الوضع، إذ أخذني الوجع، فبينما أنا في تلك الفكرة، إذ انشق طرف من بيتي، ودخلت علي أربعة من النساء، وجوههن كالشمس، وريحهن أطيب من المسك الأنفس، غشيهن النور، لهن مشابهة لبنات عبد مناف، يخبر مظهرهن أنهن من بنات الأشراف، فتقدمت إلي إحداهن وقالت : يا آمنة من مثلك، ومن يشبهك، فإنك حملت بسيد الأنبياء والمرسلين، وحبيب رب العالمين، وجلست بجانبي الأيمن، فقلت لها : من أنت ؟ قالت : أنا أم البشر حواء، ثم تقدمت الثانية وقالت : من مثلك ومن يشبهك، وأنت حملت بالنبي الطاهر، وقعدت بجانبي الأيسر، فقلت لها من أنت ؟ فقالت : أنا سارة حَليلة خليل الرحمان، ثم تقدمت الثالثة فقالت : يا آمنة من مثلك ومن يشبهك، لأنك حملت بالحبيب المحبوب، وقعدت وراء ظهري، فقلت : من أنت ؟ فقالت أنا آسية بنت مزاحم، ثم تقدمت الرابعة وكانت هيبتها زائدة، ورونقها وبهجتها متزايدة، وقالت يا آمنة من مثلك ومن يشبهك وأنت حملت بصاحب الآيات، والمعجزات الباهرات، وسيد أهل الأرض والسماوات، يا آمنة ألْقِ ذاتك علي، واجعلي ميلك بكليتك إلي، فقلت : من أنت ؟ فقالت : أنا مريم بنت عمران، ثم قلن لي : يا آمنة نحن قابلات حملك وخادماتك، قالت : فاستأنست بهن، وذهب ما بي من ألم الوحشة.

ورأيت في تلك الحالة ديباجًا أبيض أُرْخِيَ فيما بين السماء والأرض، وسمعت قائلا يقول : خذوه عن أعين الناس، ورأيت أشخاصا في الجو بأيديهم أباريق من فضة، ورأيت طيورًا أحاطت بحجرتي، أجنحتهن من الياقوت، وأنوفهن من الزمرد، وشاهدت أشخاصًا يدخلون حجرتي ويخرجون ويتكلمون باللغات المختلفة، فبينما أنا كذلك إذ رفع ا عن عيني الحجب، فعاينت قصور بصرى من أرض الشام، ورأيت ثلاثة أعلام قد نصبت، علم بالمشرق، وعلم بالمغرب، وعلم بالكعبة، وقد استولى علي العطش في تلك الحالة، فعرضت علي كأس شرابها أبيض من اللبن وأحلى من العسل، فأخذتها وشربتها[1].

بكمال الحبور في خير جمع   قد وضعت الحبيب أحسن وضع

مرحبا بك يا سيدنا محمد، صلى ا عليـ ـك وعلـ ـ ـى آلك وسـ ـلم
السلام عليك يا رسول ا ، صلى ا عليـ ـك وعلـ ـ ـى آلك وسـ ـلم
السلام عليك يا نبـ ـي ا ، صلـ ـى ا عليـ ـك وعلـ ـ ـى آلك وسلم
السلام عليك يا حبيب ا ، صلـ ـى ا عليـ ـك وعلـ ـ ـى آلك وسلم
السلام عليك يا صفوة ا ، صلـ ـى ا عليك وعـ ـلى آلـ ـك وسـ ـلم
السلام عليك يا رحمة ا ، صلى ا عليـ ـك وعـ ـلى آلـ ـك وسـ ـلم
السلام عليك يا من اختاره ا ، صلى ا عليك وعلى آلـ ـك وسـ ـلم
السلام عليك يا خيـ ـرة ا ، صـ ـلى ا عليك وعلى آلـ ـك وسـ ـلم.
السلام عليك يا رسول رب العالمين، صلى ا عليك وعلى آلـ ـك وسلم
السلام عليك يا خاتم النبيئين والمرسلين، صلى ا عليك وعلى آلك وسلم.

هذا الحبيب وهذا سيد الرسـ ـل   هذا منير الدجى وسائر السبـ ـ ـل

[1]ـ قال العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج رضي الله عنه : في هذا المحل ينبغي أن يقف قارئ المولد ويقف الحاضرون، ويسلم عليه، ويجيبون بالصلاة والسلام عليه.
قلت : مشروعية القيام في هذا المحل واحدة من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المومن إزاء النبي صلى الله عليه وسلم، لا سيما من امتلأ فؤاده بحب هذا النبي الكريم، وسكنت في قلبه بواعث تعظيمه وتبجيله.
ويذكر في هذا الباب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد نهى بعض الصحابة عن القيام له لدى وفوده على مجالسهم، فحدث مرة أنه وفد على مجلس للصحابة رضوان الله عليهم، فلم يقم له أحد منهم سوى سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه، وكأنه لم يبلغه ذلك النهي، فأشار له النبي صلى الله عليه وسلم بالجلوس، وأنه لا داعي للوقوف، فقال حسان رضي الله عنه :
أقوم إليك والقيام فرض   وترك الفرض أنَّى يستقيم
أيمكن من له عقل رجيح   ومعرفة يراك ولا يقوم
فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم، وبدت على ملامحه علامات البهجة والسرور، كما دعا لقائل هذين البيتين وأثنى عليه.

هذا الذي ملأت قلبي محبتـ ـ ـه   هذا الذي سهرت من حبه مُقلـ ـ ـي
هذا الذي أنا أهواه وفزت بـ ـه   يا فرحتي انفصلي يا فرحتي اتصلي
هذا الذي للهدى والدين أرشدنـا   لملة شرعها يسمو على الملـ ـ ـل
هذا الذي انشق إكراما له قمـ ـر   لما أشار له في محفل حَفِـ ـ ـ ـل
هذا الذي راودته الشم من ذهـب   فردها وإلى الدنيا فلم يمـ ـ ـ ـ ـل
هذا الذي في مقام العرض شافعنا   إذا استغثنا بـه من شدة الوجـ ـ ـل
هذا الذي من به المولى توسل لم   يخب له القصـد وهو مانح النحـل
هذا الذي أكرم الرحمان أمتـ ـه   فجل قدرهم بالعلـم والعمـ ـ ـ ـل
بشرى لنا أمة الإسلام إن لنـ ـا   من العناية ركـنا غير منفصـ ـ ـل
لما أتانا الرسول وهو خير نبـي   بِأكرم الرسل كنا أكـرم الملـ ـ ـل

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق،
ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله
حق قدره ومقداره العظيم.

قالت سيدتنا آمنة : لما وضعت حبيبي محمدًا خرج معه نور أضاء ما بين المشرق والمغرب[1]، وأضاءت له قصور الشام[2] حتى رأيتها، ثم نظرت إليه فإذا هو ساجد، قد رفع أصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل[3].

رافعا رأسه وفي ذلك الرفع إلـ ـ ـى كل سـ ـؤدد إيمـاء

---

[1]- إلى هذا النور يشير سيدنا العباس بن عبد المطلب بقوله في قصيدته التي امتدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من غزوة تبوك، حيث قال له لدى عودته من الغزوة المذكورة : يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل لا يفضض الله فاك، فقال قصيدة منها :

وأنت لما ولدت أشرقت الأر   ضُ وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النـــــــور سبل الرشاد نختـرق

أنظر زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، فصل رجوع النبي من غزوة تبوك، السيرة الحلبية باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم 1 : 91، الوفا بتعريف فضائل المصطفى، لابن الجوزي، أبواب بداية نبينا، الباب الثاني في ذكر الطينة التي خلق منها محمد صلى الله عليه وسلم.

[2]- إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم : رأت أمي حين وضعتني سَطَعَ منها نورٌ أضاءت له قصور بصرى. إهـ. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حر الراء) 2 : 123 رقم 6493، كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الحادي عشر) 1 : 2278 رقم 31906، فيض القدير، للمناوي (حرف الراء) رقم 4359.

[3]- أنظر السيرة الحلبية، لبرهان الدين الحلبي، باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم 1 : 87، البداية والنهاية، لابن كثير 3 : 295.

رامقا طرفه السماء ومرمى عين من شأنه العلو العـ ـ ـلاء
وتدلت زهر النجوم إليه فأضاءت بضوئها الأرجاء
وتراءت قصور قيصر بالروم يراها مـ ـن داره البطحـ ـاء[1]

قالت : ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء، لها نور عظيم، أسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة وكلام الرجال، فأحاطت به حتى غشيته، وغاب عني، ثم سمعت قائلا يقول : طوفوا به في جميع الأرض، وأعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس والملائكة والطيور والوحوش، وكل شيء ليعرفوه باسمه ونعته وصورته، وأعطوه خلق آدم، ومعرفة شيث، وشجاعة نوح، وخلة إبراهيم، ولسان إسماعيل، ورضا إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة لوط، وحكمة لقمان، وبشرى يعقوب، وجمال يوسف، وطاعة يونس، وجهاد يوشع، وحب دانيال، وحكم سليمان، وصوت داوود، ووقار إلياس، وقبول زكرياء، وعصمة يحيى، وزهد عيسى، وأغمسوه في أخلاق النبيئين.

به جمع ا المحاسن كلهـا ولا حسن إلا ما انتمى لمحاسنه
وكل كمال فهو بعض كماله وظاهره عنوان أسرار باطنـه

قالت : ثم انجلت عني، فإذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيًا شديدا، ينبع من تلك الحريرة ماء، وإذا بقائل يقول: بخ بخ قبض محمد على الدنيا كلها، لم يبق خلق من أهلها إلا دخل طائعا في قبضته، قالت : ثم نظرت إليه، فإذا به كالقمر ليلة البدر، وريحه يسطع كالمسك الأذفر، مكحلا مختونا[2] نظيفا، ما به قذر، وإذا بثلاثة نفر في يد إحداهم إبريق من فضة، وفي يد الثاني طست من زمرذ أخضر، وفي يد الثالث حريرة بيضاء، فنشرها، فأخرجَ منها خاتما يحار أبصار الناظرين دُونه، فغَسله من ذلك الإبريق سبع مرات، ثم ختم بين كتفيه بالخاتم، ولفه في الحريرة، ثم احتمله بين أجنحته ساعة، ثم رداه إلي.

فرد به روحي إلي وكدت من تزايد وجدي أن أغيب عن الحس
وكدت به من شدة الفرح الذي عراني به أعلو على رتبة الشمس
صلى ا عليه وسلم

---

[1]- **الأبيات من قصيدة الهمزية للشيخ سيدي محمد بن سعيد البوصيري، رقم الأبيات من 24 إلى 27.**

[2]- **إشارة للحديث الشريف الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم : من كراماتي على ربي أني ولدت مختونا ولم يرا أحد سوأتي. إهـ. أنظر السيرة الحلبية باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم 1 : 86.**
وقد جمع بعض العلماء أسامي الأنبياء الذين اختصوا بهذه الفضيلة وهم سبعة عشر نبيا فقال :
وفي الرسل مختون لعمرك خلقة ثمان وتـــسع طيبــون أكارم
وهم زكريا شيث إدريس يوسف وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصــالح سليمان يحي هود يس خـــاتم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق،
ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم،
وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

وقد وقع هذا كله وعبد المطلب عند الكعبة مع أهله يطوف بها تعبدًا وقربة، فبينما هو يطوف، وإذا بالبيت الشريف قد اهتزت جوانبه الأربع، وسمع التهليل والتكبير، وجعلت أركانه يسلم بعضها على بعض، وهي تقول : قد جاء رسول رب العالمين، صاحب النور والكتاب المبين، قال سيدنا عبد المطلب : فخرجت من باب الصفا أطلب منزل آمنة، وإذا بالأرض ومن عليها يهللون ويكبرون، ثم نظرت إلى الكعبة، فرأيت جميع الأصنام ساقطة على وجهها، فصرت أمسح على عيني وأقول : أنا نائم أم يقظان، حتى وصلت إلى منزل آمنة، فرأيت الأنوار منه ساطعة، والمسك الأذفر يفوح من حجرتها، وقائل يقول : ما الخبر ؟ فقيل له : ولد سيد البشر، فطرقت عليها الباب، فخرجت وليس عليها أثر النفاس، ثم أخبرتني بما جرى، وما بها من بأس، فطلبت رؤيته فإذا هو :

نور تكل به الأبصار عن نظـ ـر | يا حسن منظره المحوط بالخفـ ـ ـ ر
سجدت شكرا عند رؤيتـ ـه | وقلت سبحان ربي خالق الصـ ـ ـور
فما سمعت ولا رأيت في عمري | في الدهر من يشبه الحبيب في البشر[1]

ثم حكت له ما وقع لها من المرائي من قبل، وبالإسم الذي قيل لها سميه به بعد الوضع للحمل، فقال لها : يا آمنة إنه إسم حسن يحمده أهل الأرض والسماوات، قالت : إني سمعت قائلا يقول :

أعيذه بالواحـ ـ ـ د | من شر كل حاسـ ـ د
وكل خلق زائـ ـ د | من قائم وقاعـ ـ ـ د
عن السبيل حائـ د | على الفساد جاهـ ـ د
من نافث أو عاقد | وكل خلق مـ ـ ـارد

---

[1]ـ ينطبق على هذا ما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه، إهـ" رواه الترمذي وأحمد والبيهقي وابن حبان، ومن هذا المعنى قول الصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وأجمل منك لم تر قط عيني | وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءا من كل عيب | كأنك قد خلقت كما تشاء

ومنه أيضا ما ينسب لمولاتنا عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها :

فلو سمعوا في مصر أوصاف حسنه | لما بذلوا في سوم يوسف من نقد
وصحب زليخـــا لو رأيـن جمـــاله | لآثرن بالقطع القلوب على الأيدي

يأخذ بالمراصـد   في الطرق والموارد
أعيذه بربـ ـ ـه   من فتنة المعانـ ـ ـد

ثم أخذه سيدنا عبد المطلب، وذهب بِهِ إلى الكعبة، وأدخله إلى جوفها، وقام عندها يدعو ا و يشكره على ما أعطاه، فقال يومئذ :

الحمد الذي أعطانـ ـ ـي   هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان   أعيذه بالبيت ذي الأركان
حتى أراه بالغ البيـ ـ ـ ـان   أعيذه من شر ذي شنئـان
من حاسد مضطرب العينان

ثم أقام له عقيقة، وسماه بذاك الإسم الشريف، فقيل له : لم سميت ابنك محمدًا، ولم يكن من أسماء آبائك ولا أجدادك ؟ فقال : رجوت أن يكون محمودًا في السماء ، وفي الأرض لخلقه، فحقق ا رجاءه فيه صلى ا عليه وسلم.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق،
ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم،
وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

ثم إن سيدتنا آمنة حصل لها على أثر النفاس ضعف وألم، شغلها عن رضاع هذا المولود المبارك، وكان من عادة أهل مكة أن يخرجوا بالأطفال إلى المراضع، وقد سبق في الأزل أنه لا يرضع هذه الدرة اليتيمة، والنفس الكريمة، غير حليمة الحكيمة، وقد ناداها لسان القدر، بأن تقدم لمكة لتضفر برضاع سيد البشر، وحادي السعادة ينشد لها :

قومي حليمة إن سعدك قد طلع   ولمكة سيري فغصنك قد ينـع
فإذا وصلت لها تفوزي بالمنى   برضاع من ما مثله ثديًا رضع
فلتقصديه بكل شوق إنـ ـ ـه   في مكة نور عليه قد سطـ ـع
فهو الذي أنواره قد أشرقـ ـت   وعلى الوجود لديه جود قد همع
بشراك بالسعد الذي وافاك يا   سعدية فالخير فيه قد اجتمـ ـع
قولي لزوجك قد ظفرنا بالغنى   وبه يكون لديك رزق متسـ ـع
فا أكرمنا به في خلقـ ـ ـه   فله كمال الحمد ما نجم طلـ ـع

فجاءت إليه حليمة ودفع إليها، ورجعت إلى محلها بهذه الغنيمة، فقامت برضاعه أتم قيام، ورأت من بركاته ما شهد لها به الخاص والعام، إلى أن فصلته وبها البرحاء من فصاله، ولكن من شدة ما اعتراها عليه من الخوف، ردته إلى أهله محفوفا برداء جماله.

وفي السنة السادسة من مولده صلى ا عليه وسلم توفيت والدته سيدتنا آمنة[1]، وقد نظرت إليه في مرضها الذي توفيت فيه وقالت :

بارك فيك ا من غـ ـلام ... يا آبن الذي من حومة الحِمام
نجا بعون الملك العـ ـلام ... فودي غداة الضرب بالسهـام
بمائة من إبل سـ ـ ـ ـوام ... إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنـ ـام ... من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام ... تبعث في التحقيق والإسـلام
دين أبيك البر إبرهـ ـ ـام ... فا أنهاك عن الأصنـ ـ ـام
أن لا تواليـ ـها مع الأقـ وام

ثم قالت : كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة، وذكري باق، وقد تركت خيرا، وولدت طهرًا، ثم ماتت، فسمع نوح الجن عليها، وهاتف يقول :

نبكي الفتاة البرة الأمينة ... ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد ا والقرينة ... أم نبي ا ذي السكينـ ـة
وصاحب المنبر بالمدينة ... صارت لدى حفرتها رهينة

وقد أحيا ا أبويه بعد البعثة، فآمنا به صلى ا عليه وسلم، فكانا من أمته كرامة لهما ومعجزة له، كما ورد بذلك الخبر، وإليه أشار من قال :

حبا ا النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا
فأحي أمه وكذا أبـ ـ ـاه ... لإيمان به فضلا لطيـ ـفا[2]

---

[1]ـ توفيت رحمها الله بالأبواء، وهو محل بين مكة والمدينة، وهو إلى المدينة أقرب، وكانت حينئذ في طريقها إلى مكة المكرمة، بعدما قضت بالمدينة مدة شهر عند أخواله بني عدي بن النجار، وكانت ترافقها في هذه الرحلة خادمتها السيدة أم أيمن بركة الحبشية، وعموما فقد مرضت سيدتنا آمنة بالأبواء، وبها توفيت ودفنت، وتركت ابنها صلى الله عليه وسلم في يد خادمتها السيدة أم أيمن، التي جاءت به بعد ذلك إلى جدِّهِ عبد المطلب، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في السيدة أم أيمن : أنت أمي بعد أمي.

[2]ـ جاء في الحديث عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم، فبكيت لبكائه، ثم إنه طفق، أي شرع يقول : يا حميراء استمسكي، فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلا، ثم عاد إلي وهو فرح

فسلم فالإله بذا قديـ ـ ـ ر   وإن كان الحديث به ضعيفا[1]

ثم إن رسول ا صلى ا عليه وسلم قد شب في قومه في عفاف وصيانة، وله تشير أشرافهم برفع المكانة، وهو بينهم الأمين المأمون، والطالع الميمون، حتى ظهر أمره، وعم البرية بره، فدعاهم إلى ا أحسن دعوة، فأجابه كل سعيد، وخاب لأجله كل جبار عنيد، إلى أن دعاه الحق إليه، فلبى الدعوة، وترك تحت حفظ ا أمته، فهو مرشد الخلق للحق، والداعي إلى ا بلسان الصدق، صلى ا عليه وسلم.

لعمركم ما في الوجود كأحمـ ـد   ولا أحد في الخلق والخلق ماثله
فقد خصه خلاقه بشمائـ ـ ـ ل   وأكرم أخلاق وحسن المجامـ ـه
فكان لكل الخلق منه تكـ ـرم   وجود به عم الوجود مناولـ ـ ـه
وأجمع أهل الفضل أن له على   جميع الورى فضلا به ا عامله
أقر له بالفضل كل موفـ ـ ـق   وكل دليل قاطع فيه قام لـ ـ ـه
ومن فضله قامت عليه شواهد   ببرهان صدق ليس فيه مداخـ ـه
ومن عنده من نفس كل مجادل   دليل كمال كيف فيه المجادـ ـه
أبى ا إلا أن يكون محمـ ـد   عليه مدار الكون دون مماثـ ـه
ومن نوره قد أوجد الخلق كلهم   ومنه أمد الكل كل مواصـ ـ ـه

متبسم، فقلت لـه : بأبـي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك، ثم إنك عدت إلي وأنت فرح مبتسم، فمم ذاك ؟ قال : ذهبت لقبر أمي فسألت ربي أن يحييها فأحياها فآمنت وردها الله تعالى، إهـ" أنظر السيرة الحلبية، لبرهان الدين الحلبي (باب وفاة أمه وحضانة أم أيمن لـه وكفالـة جده عبد المطلب إياه) 1 : 172، كشف الخفاء ومزيل الألباس للعجلوني (حرف الهمزة مع الحاء المهملة) عند حديث أحيا الله أبوي النبي صلى الله عليه وسلم حتى آمن به، رقم 150.

[1] ـ الأبيات لحافظ الشام العلامة الشهير ابن ناصر الدين، أنظرها في كشف الخفاء ومزيل الألباس، للعجلوني (حرف الهمزة مع الحاء المهملة) لدى شرحه للحديث : أحيا الله أبوي النبي صلى الله عليه وسلم حتى آمن به، رقم 150.

وأمته صارت به خير أمـــة لها في مقام الفضل كل مفاضلـه
فأكرم بها من أمة أحمديـــة به قد حباها ا حسن المعاملـــه
فبشرى لنا بشرى لنا بنبينـــا فإن له سرا به ا أوصلـــــــه

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق،
ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم،
وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

اللهم إنا نتوسل إليك يا ذا الجلال والإكرام ، ويا من لا معبود بحق سواه، ويا باسط الآلاء على سائر الأنام، ولا يخيب رجاء من دعاه، بجاه نبيك عليه السلام، القائل توسلوا بجاهي فإن جاهي عند ا عظيم، أن تكفينا ما أهم وما لم يهم في الدارين، وتغفر ما نعلم من ذنوبنا وما لا نعلم في الحالين، وأن تأخذ بيدنا وبيد والدينا وأولادنا، وأهلينا وأحبابنا، وكل من له حق علينا، وتبسط علينا خيراتك، وتوفقنا لشكرك الملحوظ بقبولك ومرضاتك، وأن تُهَدئَ روعتنا، وترخص أسعارنا، وتنصرنا على من عادانا، وتكفينا شر كل هم، وشر كل ذي شر، وتختم لنا بالسعادة، وتتفضل علينا بالحسنى وزيادة، واحشرنا في زمرة الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصدقين والشهداء والصالحين، بجاه نبيك خاتم النبيئين والمرسلين، والحمد رب العالمين، هـ.

التقريظ الأول

الحمد على إفضاله، وصلى ا على سيدنا محمد وآله، ولأديب طنجة الشريف الأصيل، الفاضل الجليل، ذي الأخلاق العذبة المذاق، الدالة على طيب الأصول والأعراق، سيدي عبد ا بن محمد بن الهاشمي الوزاني، بلغه ا غاية الأماني، في تقريظ هذا المولد اللطيف قائلا :

تأمل كتاب كمال الفـرح — يزل عنك كل عنى وترح
بمولد سيدنا المصطفـى — من أرشد أمته ونصـح
فيا طالب العلم فارتع بـه — فما مثله مولد يمتـدح
فلا عجب إن غدًا روضة — فزهر المحاسن فيه نفـح
لقد جمع الفضل جامعـه — وفاز بنيل المنى ونجـح
سكيرج أحمد من صدره — بحب النبي وذويه انشرح
أديب الزمان وعالمـه — فما مثله للنبي مـدح
شمائله بالتقى كملـت — فتم كتاب كمال الفـرح

قاله بفمه عبد ا بن محمد بن الهاشمي الوزاني لطف ا به

التقريظ الثاني

وقرظه أيضا الشاب الفقيه الأديب الغطريف محمد البيضاوي الشنقيطي بقوله

رأيت مولد خير الخلق نمقـه — متوج بأكاليل وأنـوار
فأظهر الدر من مكنون جوهره — من كل علم ومن أسحار الأشعـار
سكيرج نصرة المختار ديدنـه — لا غرو إن نصر المختار أنصاري

وكتبه بقلمه محمد البيضاوي بن أمانة ا الشنجيطي رفعه ا .

التقريظ الثالث

وكتب عليه العلامة الذي لا يحتاج في تفضيله على غير العلامة. الفقيه الأجل، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس، أمنه ا ورعاه ما نصه :

كمال السرور لنا والفـرح — بمولد طه انجلى واتضح
وأحمد علامة العلمـا — أتى بكنوز المنَى والمنح
كتاب حوى جملا قد حكت — رياض تبسم لما انفتـح

تخال من نظمه بعقـــــــــــــود بها فاز من لعلاه امتدح

وقد طبعت بعدما كملت	فشاق لها الصدر ثم انفسـج
وَلِمْ لا وتاريخه معلـم	بطه زمان الشفاء وضَـ ـح
	1333= 104 1113 98 18
عليه وآل وصحب ومن	تيممه للمنى فاقتـ ـ ـ ـرح
صلاة تلاها السلام بلا	تناهي بها السعي منا نجـح

قال وكتبه عبد ربه عبد الكريم بن العربي بنيس لطف ا به.